

مختصر ابن کثیر



وقال محمد بن إسحاق عن محمد بن كعب قال أبو جهل وهم جلوس : إن محمداً يزعم أنكم إن  
تا بعثتموه كنتم ملوكاً فإذا متم بعثتكم بعد موتكم وكانت لكم جنان خير من جنان الأردن وإنكم  
إن خالفتتموه كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم وكانت لكم ناراً تعذبون بها وخرج عليهم  
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك وفي يده حفنة من تراب وقد أخذ الله تعالى على أعينهم

دونه فجعل يذرها على رؤوسهم ويقرأ : { يس ... القرآن الحكيم - حتى انتهى إلى قوله تعالى - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون } وانطلق رسول الله عليه وسلم لحاجته وباتوا رصداء على بابه حتى خرج عليهم بعد ذلك خارج من الدار فقال : ما لكم ؟ قالوا : ننتظر محمدا قال : قد خرج عليكم بما بقي منكم من رجال إلا وضع على رأسه ترابا ثم ذهب لحاجته فجعل كل رجل منهم ينفض ما على رأسه من التراب قال : وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم قول أبي جهل فقال : " وأنا أقول ذلك إن لهم مني لذبحا وإنه لآخذهم " . وقوله تبارك وتعالى : { وسواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون } أي قد ختم الله عليهم بالضلالة مما يفيده فيهم الإنذار ولا يتأثرون به { إنما تنذر من اتبع الذكر } أي إنما ينتفع بإذارك المؤمنون الذين يتبعون { الذكر } وهو القرآن العظيم { وخشي الرحمن بالغيب } أي حيث لا يراه أحد إلا الله تبارك وتعالى يعلم أن الله مطلع عليه وعالم بما يفعل { فبشره بمغفرة } أي لذنبه { وأجر كريم } أي كثير واسع حسن جميل كما قال تعالى : { إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير } ( أخرجه ابن جرير ) .

ثم قال الله تعالى : { إننا نحن نحيي الموتى } أي يوم القيمة وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب من يشاء من الكفار الذين ماتت قلوبهم بالضلالة فيهديهم بعد ذلك إلى الحق كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب : { أعلموا أن الله يحيي الأرض بعد موتها قد بینا لكم الآيات لعلكم تعقلون } وقوله تعالى : { ونكتب ما قدموا } أي من الأعمال وفي قوله تعالى : { وآثارهم } قولان : أحدهما : نكتب أعمالهم التي باشروها بأنفسهم وآثارهم التي أثرواها من بعدهم فيجزيهم على ذلك أيضاً إن خيراً فخير وإن شراً فشر كقوله صلى الله عليه وسلم : " من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليها وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً " ( أخرجه مسلم عن جرير بن عبد الله البجلي وهو طويل وفيه قصة محبتي النمار المضريين ) . وهكذا الحديث الآخر : " إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة : من علم ينتفع به أو ولد صالح يدعوه له أو صدقة جارية من بعده " ( أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ) . وقال مجاهد في قوله تعالى : { ونكتب ما قدموا وآثارهم } قال : ما أورثوا من الضلالة وقال سعيد بن جبير : { وآثارهم } يعني ما أثروا يقول : ما سنوا من سنة فعمل بها قوم من بعد موتهم وهذا القول هو اختيار البغوي . والقول الثاني : أن المراد بذلك آثار خطأهم إلى الطاعة أو المعصية قال مجاهد : { ما قدموا } أعمالهم { وآثارهم } قال : خطأهم بأرجلهم ( وهو قول الحسن وقتادة ) . وقال قتادة : لو كان الله تعالى مغفلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تغفل الرياح من هذه الآثار ولكن أحصى على ابن آدم

أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو من طاعة الله تعالى أو معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله تعالى فليفعل وقد وردت في هذا المعنى أحاديث .

ال الحديث الأول : عن جابر بن عبد الله هما قال : خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم : " إنه بلغنا أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد " قالوا : نعم يا رسول الله قد أردنا ذلك فقال صلى الله عليه وسلم : " يا بني سلمة : دياركم تكتب آثاركم دياركم تكتب آثاركم " ( أخرجه أحمد والإمام مسلم ) . الحديث الثاني : عن أبي سعيد الخدري به قال : كانت بنو سلمة في ناحية من المدينة فأرادوا أن ينتقلوا إلى قريب من المسجد فنزلت : { إننا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم } فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : " إن آثاركم تكتب " فلم ينتقلوا ( أخرجه ابن أبي حاتم والترمذى وقال الترمذى : حسن غريب ) . وروى الحافظ البزار عن أبي سعيد به قال : إن بني سلمة شدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد منازلهم من المسجد فنزلت : { ونكتب ما قدموا وآثارهم } فأقاموا في مكانهم . الحديث الثالث : عن ابن عباس بهما قال : كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن يتحولوا إلى المسجد فنزلت { ونكتب ما قدموا وآثارهم } فثبتوا في منازلهم ( أخرجه الطبراني وهو حديث موقوف ) . الحديث الرابع : عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : توفي رجل بالمدينة فصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : " يا ليته مات في غير مولده " فقال رجل من الناس : ولم يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل إذا توفي في غير مولده قيس له من مولده إلى منقطع أثره في الجنة " ( أخرجه الإمام أحمد والنسائي ) . وروى ابن جرير عن ثابت قال : مشيت مع أنس به فأسرعت المشي فأخذ بيدي فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس : مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشي فقال : يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب ؟ وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأخرى فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب فلن تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى وإن أعلم . وقوله تعالى : { وكل شيء أحصيناه في إمام مبين } أي وجميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط في لوح محفوظ { والإمام المبين } ههنا هو أم الكتاب قاله مجاهد وقتادة وكذا في قوله تعالى : { يوم ندعو كل ناس بما م لهم } أي بكتاب أعمالهم الشاهد عليهم بما عملوه من خير أو شر كما قال الله تعالى : { ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ولتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم رب أحدا }